

النجوم

عناصر الموضوع

٤٣٤ مفهوم النجوم

٤٣٥ النجوم في الاستعمال القرآني

٤٣٦ الألفاظ ذات الصلة

٤٣٨ النجوم مسخرة بأمر الله

٤٥١ أسماء وصفات في عالم النجوم

مفهوم النجوم

أولاً: المعنى اللغوي:

النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور، ونجم السن والقرن: طلعا، والنجم: اسم يقع على الثريا، وكل منزل من منازل القمر سمي نجماً، وكل كوكب من أعلام الكواكب يسمى نجماً، والنجوم تجمع الكواكب كلها. وأنجمت السماء: بدت نجومها، والنجم من النبات: ما لم يكن له ساق، من نجم إذا طلع^(١).

نجم الشيء ينجم بالضم نجوماً: ظهر وطلع، وفلانٌ منجم الباطل والضلالة -بالفتح- أي: معدنه^(٢).

أصل النجم: الكوكب الطالع، وجمعه: نجومٌ، ونجم: نجوماً ونجماً، فصار النجم مرة اسماً كالقلوب والجيوب، ومرة مصدرًا كالطلوع والغروب، واشتقوا منه فقالوا انجمت الدين بالثقل إذا جعلته نجوماً^(٣) والنجمة: هي أخص من النجم، وكأنها واحده، كنبته ونبت. ونجمة الصبح: فرسٌ نجيبٌ، والنجم: نزول القرآن نجماً نجماً^(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

وبالنظر في الكتب والمراجع التي هي مظنة التعريف الاصطلاحي، والتي منها كتاب (الكليات) للكفوي، وكتاب (التعريفات) للجرجاني، وكتاب (المفردات في غريب القرآن) للأصفهاني، وغيرها، فلم نجد فيها تعريفاً اصطلاحياً للنجوم، وعليه فإنه من خلال المعنى اللغوي السابق، ومعاني الآيات التي وردت فيها لفظة النجوم نورد ما يأتي:

النجم عرفاً: أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها، وموضعها النسبية في السماء ثابتة، ومنها الشمس^(٥).

- (١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٩٦/٥، مجمل اللغة، ابن فارس ٨٥٧/١، الكليات، الكفوي ٨٨٧/١، العين، الفراهيدي ١٥٤/٦.
- (٢) انظر: الصحاح، الجوهري ٢٠٣٩/٥.
- (٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ٧٩١/١، المصباح المنير، الفيومي ٥٩٤/٢.
- (٤) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٤٨٠/٣٣، لسان العرب، ابن منظور ٥٦٨/١٢.
- (٥) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، وحامد قنبيي ٤٧٥/١، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب ٣٤٨/١.

النجوم في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نجم) في القرآن الكريم (١٣) مرة^(١).
والصيغ التي وردت، هي:

| الصيغة | عدد المرات | المثال |
|--------|---------------|--|
| المفرد | ٤ | ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١-٢] |
| الجمع | ٩ | ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] |

وجاءت النجوم في الاستعمال القرآني على وجهين^(٢):

الأول: الكواكب: ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾
[الطارق: ١-٣]. يعني: الكواكب.

الثاني: النبات: ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦]. يعني
بالنجم: كل شجرٍ مما لا ساق له من النبات، والشجر: ما له ساق.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٦٨٨-٦٨٩.

(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٥٨٠-٥٨١، الوجوه والنظائر، الداغاني ص ٤٤٤-٤٤٥.

الألفاظ ذات الصلة

١ الكوكب:

الكوكب لغةً:

من كب: الكاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، لا يشذ منه شيء، والكوكب يسمى كوكبًا من هذا القياس^(١).

والكوكب: واحد الكواكب، فالكوكب والكوكبة: النجم، وكوكب: اسم موضع^(٢).

الكواكب اصطلاحًا:

«الكواكب: أجسام بسيطة مركوزة في الأفلاك، كالفص في الخاتم، مضيئة بذواتها، إلا القمر»^(٣) أو: «جرم سماوي يدور حول الشمس ويستضيء بضوئها وأشهر الكواكب مرتبة على حسب قربها من الشمس عطارد الزهرة الأرض المريخ المشتري زحل يورانس نبتون بلوتون»^(٤).

الصلة بين الكوكب والنجم:

إن الكوكب اسم للكبير من النجوم، وكوكب كل شيء معظمه، والنجم عام في صغيرها وكبيرها، ويجوز أن يقال: الكواكب هي الثوابت، ومنه يقال: فيه كوكب من ذهب أو فضة؛ لأنه ثابت لا يزول، والنجم الذي يطلع منها ويغرب^(٥).

وقيل: النجم فيه مراعاة لمعنى من معاني النجوم والكواكب وهو الظهور والطلوع، أما الكوكب ففيه مراعاة لمعنى الإضاءة والبياض والعظمة^(٦).

٢ الشمس:

الشمس لغةً:

الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلة استقرار، فالشمس معروفة، وسميت

- (١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ١٢٤، مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ٧٦٦.
- (٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٦/ ٦٧٠، شمس العلوم، نشوان الحميري ٩/ ٥٨٧٣، لسان العرب، ابن منظور ١/ ٧٢١، مختار الصحاح، الرازي ص ٢٧١.
- (٣) التعريفات، الجرجاني ص ١٨٨.
- (٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٩٣.
- (٥) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ١/ ٤٥٩.
- (٦) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٥/ ٢٠.

بذلك؛ لأنها غير مستقرة، ويقال: شمس يومنا وأشمس، إذا اشتدت شمسه^(١).

الشمس اصطلاحًا:

الشمس: هو كوكب مضيء نهارياً^(٢)، يشع لنا حرارة وضياء.

الصلة بين الشمس والنجم:

الشمس: مضيئة في النهار، بينما النجم مضيء في الليل.

٣ القمر:

القمر لغةً:

القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض في شيء، ثم يفرع منه. من ذلك: القمر الذي في السماء، وضوؤه القمراء، وسمي قمراً: لبياضه^(٣).

القمر اصطلاحًا:

هو كوكب في السماء معتم.

وقيل: جرم سماوي صغير معتم يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعا له^(٤).

الصلة بين القمر والنجم:

القمر جسم معتم يستمد ضوءه من الشمس، بينما النجم مضيء.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣ / ٢١٢، مجمل اللغة، ابن فارس ١ / ٥١١.

(٢) التعريفات، الجرجاني ص ١٢٩.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥ / ٢٥.

(٤) - انظر: المعجم الوسيط ٢ / ٧٥٨.

النجوم مسخرة بأمر الله

أولاً: صور من تسخير النجوم:

النجوم من المخلوقات التي لها جرم كبير، وسرعة عالية، وقد أشار القرآن إليها في غير ما موضع؛ لأنها من الآيات العجيبات، والدلائل الواضحات على قدرة الباري وعظمته وقهره، وقد تحدث القرآن عن كونها مسخرة بأمر الله وخاضعة لمولاها في موضعين من كتابه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثِيِّ يُغْثِي النَّبْتِ الَّذِي ظَلَمْتُهُ حَيْثُ مَا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ مُسَخَّرِينَ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ لَهُ لَخَلْقَ وَالْأَمْرَ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذه الآية جاءت في سياق التذليل على ربوبية الله وألوهيته، وأنه لا معبود سواه فهي سياحة «في ملكوت الله، يرتادها السياق بعد قصة النشأة الإنسانية، وبعد تصوير طرفي الرحلة، وبعد الحديث عن اتباع الشيطان، والاستكبار عن اتباع رسل الله، وبعد عرض التصورات الجاهلية، والتقاليد التي يشرعها البشر لأنفسهم بلا إذن من الله ولا شرع؛ ليرد البشر إلى ربهم الذي خلق هذا الوجود وسخره، والذي يحكمه بنواميسه ويصرفه

بقدره، والذي له الخلق والأمر وحده»^(١). وجاء ذكر النجوم في الآية وكونها مسخرة بأمر خالقها كأحد الشواهد على ربوبية الله وألوهيته واستحقاقه العبادة «والتسخير حقيقته تذليل ذي عمل شاق أو شاغل بقهر وتخويف، أو بتعليم وسياسة بدون عوض، فمنه تسخير العبيد والأسرى، ومنه تسخير الأفراس والرواحل، ويستعمل مجازاً في تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم من شأنه أن يصعب استعماله فيه، بحيلة أو إلهام تصريفاً يصيره من خصائصه وشؤونه»^(٢).

فالإشارة بأن النجوم مسخرة إذا فيه ما يدل على ضخامة شأنها، وأنه ما كان لأحد أن يستطيع تسييرها في نظام منضبط محدد إلا الله، فهي آية عظيمة على ربوبية الله وألوهيته؛ وما ذلك إلا لأنها أجرام تسيح في الفضاء بسرعات عالية، كما أن لها كتلا ضخمة قد يعجز الإنسان عن تصورها، فالشمس وهي «نجمٌ متوسط الحجم إذا قيست بالنجوم الأخرى، تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة حجماً، وتبعد عنها مائة وستة وخمسين مليون كيلو متر وسطياً، ويقطع ضوء الشمس هذه المسافة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٢٩٥ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/ ١٦٨-١٦٩ بتصرف.

النجوم، وعظم شأن تسخيرها، فهي برغم هذه السرعات العالية «تتبع نظامًا دقيقًا لا تحيد عنه قيد أنملة مهما مرت بها الليالي، وتعاقبت عليها الفصول والأعوام والقرون، وتدور في أفلاكها بنظام يمكننا من التنبؤ بما يحدث من الكسوف والخسوف قبل وقوعه بقرون عديدة»^(٣). فسبحان من هي مسخرة بأمره!

والآية الثانية التي ذكرت تسخير النجوم بأمره تعالى هي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

وهذه الآية أتت في سياق الاستدلال على وجود الباري، واستعراض عظيمته، وإظهار قدرته، وما تفيض به على العالم من نعم فهو استدلال «بإتقان الصنع على وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان»^(٤).

وفي هذه الآيات عدة أوجه للقراءات فقد «قرأ الجمهور جميع هذه الأسماء منصوبة على المفعولية لفعل ﴿وَسَخَّرَ﴾ وقرأ ابن عامر: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بالرفع على الابتداء، ورفع: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ على أنه خبر عنها، ونكتة اختلاف الإعراب

(٣) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين ص ١٤٧.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ١١٦.

في ثماني دقائق. وأما عن حرارتها فهي تصل إلى عشرين مليون درجة في مركزها، فلو ألقيت الأرض في جوف الشمس لتبخرت في وقت قصير، ويزيد طول السنة اللهب المنطلقة من سطحها من نصف مليون كيلو متر إلى مليون كيلو متر، وتنتج الشمس من الطاقة في كل ثانية ما يعادل إحراق ألفي مليار طن من الفحم الحجري»^(١).

فهذه الشمس بكتلتها الكبيرة تدور حول نفسها كل خمسة وعشرين يومًا دورة، وتجري بسرعة مائتي كيلو متر في الثانية الواحدة.

وإذا كان هذا شأن الشمس وهي نجم متوسط «فهناك في هذا الفضاء الذي لا يعرف البشر له حدودًا ملايين الملايين من النجوم، منها الكثير أكبر من الشمس، وأشد حرارة وضوءًا، فالشعري اليمانية أثقل من الشمس بعشرين مرة، ونورها يعادل خمسين ضعف نور الشمس، والسماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس، ونوره ثمانية آلاف ضعف، وسهيل أقوى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة»^(٢).

إن هذا يكشف لنا عن مدى عظم

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لمحمد راتب النابلسي ٢/ ٣٩.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٤٤٧-٣٤٤٨.

إنما مرجعهما إلى بعدها البعيد عنا، حتى ليبلغ مدى هذا البعد مئات الألوف، وألوف الألوف من السنين الضوئية»^(٣).

١. النجوم ساجدة.

وهذا من صور تسخير النجوم التي أشار إليها القرآن.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وهذه الآية أتت في سياق ذكر اختلاف أهل الديانات وافتراقهم لتقرر بأنه «ما كان ينبغي لأهل الأديان المختلفة أن يختلفوا؛ لأن جميع العوالم خاضعة لسلطان الله وقدرته، وساجدة لعظمته طوعاً أو كرهاً»^(٤).

وخصت الآية ذكر ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾؛ «لأنها قد عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مريوبة مسخرة»^(٥).

واختلف العلماء في المراد بالسجود على ضريين:

أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التفسير المثير، الزحيلي ١٧٦/١٧ بتصرف يسير.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٠٣/٥.

الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع: ﴿وَالنُّجُومُ﴾ و ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾، ونكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح، والآخر خفي لقلة من يرقب حركات النجوم»^(١).

فرفع النجوم إذا يدل على أن «للنجوم شأنًا كشأن الشمس والقمر، وأنها مسخرة كالشمس والقمر، وإن كان الإنسان في غفلة عنها»^(٢).

ولذلك أتت الخاتمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

«لتلفت العقل إلى هذه الظاهرة، ظاهرة النجوم وحركاتها في السماء، وتسخيرها في مداراتها، وأن أصحاب العقول وحدهم هم الذين يرون هذه الظاهرة، ويتعرفون إلى آثار رحمة الله وقدرته، وأنه إذا التفت العقل إلى هذه النجوم التفتاً جاداً متفحصاً وجد عالماً رحيماً لا حدود له، وأكواناً عجيبة تذهل لجلالها العقول، وتخضع لروعها القلوب؛ إذ ليست هذه النجوم التي تبدو وكأنها حبات من اللؤلؤ المنتور في السماء إلا أجراماً أكبر من الشمس، وأن أصغر نجم فيها يعدل جرم الشمس آلاف المرات، وأن صغر حجمها، وقلة ضوئها بالنسبة للشمس

(١) المصدر السابق ١٤/١١٦.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٧/ ٢٧٥ بتصرف يسير.

من ألزمها مدارها، وقهرها في فلكها، وسيرها في نظام لا تشذ عنه ولا تحيد.

٢. النجوم علامات وإرشاد.

لخلق النجوم الكثير من المنافع التي أشار إليها القرآن، ومنها أنها علامات وإرشاد للناس في ظلمات البر والبحر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وفي هذه الآية يذكرنا تعالى «ببعض فضله في تسخير هذه النيرات»^(٤): وذلك بجعله لنا النجوم أدلة «ليهتدي بها مسافرونا في البر والبحر حتى لا يضلوا طريقهم فيهلكوا»^(٥).

قال قتادة: «إن الله تبارك وتعالى إنما خلق النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد رآه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به»^{(٦)(٧)}.

«وفي إضافة الظلمات إلى البر والبحر

الثاني: من لا يعقل، واختلفوا فيه على رأيين:

❖ أن سجوده هو بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق.

❖ أن سجوده حقيقة^(١).

وعلى كلا القولين وسواء كان السجود حقيقة أو مجازاً فإنه لا شك دال على الخضوع والتسخير.

وهناك موضع ذكر فيه سجود النجوم، وهو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

وفي المراد بالنجم هنا قولان: أحدهما: أنه كل نبت ليس له ساق، وهو مذهب ابن عباس والسدي ومقاتل واللغويين.

والثاني: أنه نجم السماء^(٢).

وكثير من المفسرين رجح الرأي الأول؛ ولذا أحجمت عن الكلام فيه^(٣).

وهكذا يظهر لنا كيف أن النجوم بأحجامها الضخمة وسرعاتها المذهلة مسخرة لربها، وخاضعة لخالقها، تنقاد لأمره، وتخضع لسلطانه ومشيئته، فسبحان

(٤) تفسير المنار ٧/ ٥٣٠.

(٥) أيسر التفاسير، الجزائري ٢/ ٩٦.

(٦) جامع البيان، الطبري ١٧/ ١٨٥.

(٧) قال القاسمي: مراده اعتقاد مناف للعقد الصحيح، لا اعتقاد حكم وأسرار غير الثلاث فيها، إذ فوائد المكونات غير محصور. وذكر حكمة في مكون لا ينفي ما عداها. محاسن التأويل ٤/ ٤٤٢.

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٠٦.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ١٢، المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٢٢٤، أنوار التنزيل، البيضاوي ٥/ ١٧٠، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٨/ ١٧٧.

وإرشاد دون القمر أو غيره مع أن القمر أكثر ضياءً وأقرب مسافة؟ ولكن من تأمل تخصيصه عز وجل النجوم بهذه الهداية دون القمر ظهرت له حكم بديعة، فالقمر سريع الحركة والتنقل في الليلة الواحدة، وخلال ليالي الشهر والعام بخلاف النجوم التي تبدو أكثر ثباتاً في السماء مما يجعل معرفة منازلها أيسر، والقمر يغيب من السماء ويفقد ضياؤه في عدد من ليالي الشهر بخلاف النجم الذي لا يذهب نوره إلا ضوء النهار ونور الشمس، والقمر ينكسف وأما النجم فلا ينكسف؛ بل إن لذكر النجم دون غيره من الوسائل والأدوات التي استخدمها الناس منذ القدم حكمة بالغة؛ إذ النجم متاح لكل إنسان في كل مكان وفي كل ساعة من ساعات الليل ولا يملك حجه أحد، وتعلم الاهتداء به ميسر، بينما تلك الوسائل غير متاحة لكثيرين، وقد يصعب استخدامها على كثيرين.

وهكذا يظهر لنا كيف أن النجوم جعلها الله علامات وإرشاد للناس تهديهم في ظلمات البر والبحر حتى لا يضلوا طريقهم ويهلكوا.

ثانياً: النجوم زينة:

«مشهد النجوم في السماء جميل - ما في هذا شك-، جميل جمالاً يأخذ بالقلوب،

إشارة إلى أن الظلام هو الذي يلبسهما، ويستولي عليهما، فكأن السائر في الليل يقطع قطعاً من الظلام، سواء أكان في البر أو البحر»^(١).

فأن تكون النجوم دليلاً للمرء في وسط هذه الظلمات فهذه لا شك منفعة كبيرة.

ومن الآيات التي أكدت على هذا قوله: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَا النَّجْمِ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

ففي هذه الآية يؤكد تعالى على كون النجوم تهدي «من ضلال الطريق في البر والبحر»^(٢).

وهذه «هداية عظيمة في وقت ارتباك الطريق على السائر؛ ولذلك قدم المتعلق في قوله تعالى: ﴿وَيَا النَّجْمِ﴾ تقديمًا يفيد الاهتمام، وكذلك بالمسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿هُمْ يَسْتَدُونَ﴾»^(٣).

والاهتداء بالنجوم ليس مقصوراً على مكان دون مكان، ولا زمان دون زمان، وإنما «تختلف وسائل الاهتداء بالنجوم ويتسع مداها بالكشوف العلمية والتجارب المنوعة»^(٤).

لماذا النجوم علامات وإرشاد؟

قد يقول قائل: لماذا النجوم علامات

(١) التفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٤٧.

(٢) جامع البيان، الطبري ١١/ ٥٦١.

(٣) التحرير والتنوير ١٤/ ١٢٢.

(٤) في ضلال القرآن، سيد قطب ٢/ ١١٥٩.

بهية، ولوحة نقية، لا بد لها من قائم بأمرها، مدبر لأحوالها وشئونها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

أي: «وزينا هذه السماء بالنجوم»^(٢). وهذه الزينة ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ «إلى حركاتها وأضوائها، أو للمتفكرين المعبرين المستدلين بها على قدرة موجدنا ووحدانيته»^(٣).

فإنه لولا النجوم «لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها، والنظر في معانيها، والاستدلال بها على باريها»^(٤).

فتزيين النجوم للسماء آية عظيمة من آيات القدرة الإلهية التي تشهد بوحداية الله تعالى وعظمته وجلاله، وتلفت الأنظار إلى بديع صنعه في كونه، وعجيب فعله في خلقه.

وبالنظر في السياق الذي وردت فيه الآية يتأكد هذا المعنى، فقد جاءت هذه الآية بعد ذكر عتو الكافرين واستكبارهم، وعماهم عن آيات الله.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ

(٢) التفسير الميسر ص ٢٦٣.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ٣٣٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٠.

وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد أوقاته، ويختلف من صباح إلى مساء، ومن شروق إلى غروب، ومن الليلة القمراء إلى الليلة الظلماء، ومن مشهد الصفاء إلى مشهد الضباب والسحاب، بل إنه ليختلف من ساعة لساعة، ومن مرصد لمرصد، ومن زاوية لزاوية، وكله جمال، وكله يأخذ بالألباب.

فهذه النجمة الفريدة التي توصف هناك، وكأنها عين جميلة، تلتهم بالمحبة والنداء! وهاتان النجمتان المنفردتان هناك، وقد خلصتا من الزحام تتناجيان! وهذه المجموعات المتضامة المتناثرة هنا وهناك، وكأنها في حلقة سمر في مهرجان السماء، وهي تجتمع وتفترق كأنها رفاق ليلة في مهرجان!«^(١).

فالنجوم زينة السماء، وقد جاء وصف النجوم بأنها زينة في القرآن لعدة فوائد ومنافع:

١. الاستدلال بها على وحدانية الله.

فإن تزيين السماء بهذه النجوم فيه من بديع التكوين، وجميل التنسيق ما يستدل به على خالقه، ويرغم عقول العباد على التفكير في صانعه وموجده، فهذه النجوم المتناثرة في السماء، المتفرقة في جو الفضاء التي ترنو للناظرين، وتزدان للمعتبرين في حلة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٦٣٣.

جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١﴾

[الحجر: ١٤-١٦].

فكانه تعالى «لما ذكر كفر الكافرين وعجز أصنامهم ذكر كمال قدرته؛ ليستدل بها على وحدانيته، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾»^(١).

وكانه سبحانه أراد أن يبين أن في السماء من العجائب ما لا يحتاج إلى صعود وارتقاء، بل يدركها الواقفون على الأرض من أهل الاعتبار، من هذه العجائب تزيين السماء بالكواكب.

وكذا يقال في قوله: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفات: ٦].

فإنه تعالى لما ذكر وحدانيته على خلقه، وأنه رب السموات والأرض ورب المشارق بقوله: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصفات: ٤-٥].

أردف ذلك بقوله: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفات: ٦].

وفي علاقة هذه الآية بما قبلها يقول ابن عاشور رحمه الله: «هذه الجملة تنزل من جملة ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ منزلة الدليل على أنه رب السموات، واقتصر على ربوبية السموات؛ لأن ثبوتها يقتضي

ربوبية الأرض بطريق الأولى»^(٢).

وهكذا يظهر أن جعل النجوم زينة فيه دلالة على خالقها وعلى وحدانيته وعلى جلاله وكماله؛ لأنها تحرك في الإنسان التساؤل: من الذي خلق هذا الخلق البديع المتقن الذي يخلب الأنظار ويجذب القلوب؟ لا بد أن وراء الإبداع مبدع، وخلف كل جمال جميل!

٢. لفت الأنظار إلى جمالية هذا الكون.

زينة النجوم جمال، والله جميل يحب الجمال، خلق هذا الكون فأحسن خلقه وأتقنه وجمله.

يقول صاحب الظلال رحمه الله: «القرآن يوجه النفس إلى جمال السماء، وإلى جمال الكون كله؛ لأن إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود، وهذا الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه؛ لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي يتهيأ فيها للحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية»^(٣).

من أجل هذا جعل الله في خلقه العديد من مشاهد الجمال والزينة، بل لا تجد خلقاً من خلق الله إلا وفيه جمال، ويدل على

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/٨٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٦٣٤ باختصار.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/١٠ بتصرف.

جمال!

الله تعالى في خلق هذا الكون»^(٢).
وهكذا يظهر لنا كيف أن كون النجوم
زينة يلفت الأنظار بشدة لجمالية هذا الكون.
٣. شهود منة الله على خلقه.

فمن ممن الله على عباده ورحمته
بهم وفضله عليهم أن جعل لهم المناظر
البهية التي تروق لنفوسهم وتملؤها بهجة
وسرورًا، يقول ابن عاشور رحمه الله
في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ
الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفوات: ٦]: «فيها منة على الناس
بأن جعل لهم في السماء زينة الكواكب
تروق أنظارهم؛ فإن محاسن المناظر لذة
للناظرين»^(٣).

فتزيين السماء بالنجوم والكواكب نعمة
من الله على خلقه كثير من نعمه التي لا
تعد ولا تحصى، وحق على عباده الذين
يستمتعون بالنظر إليها أن يعرفوا فضله فيها،
ويشكروه عليها.

ثالثاً: النجوم رجوم للشياطين:

السماء عالم فسيح واسع ممتد،
يستعصي على العقل حصره، وتعجز
الفهوم عن الإحاطة به، والإلمام بجوانبه،
وهو حافل بالأسرار، مليء بالعجائب التي
يقف العقل البشري أمامها عاجزاً، لا يبدي
جواباً، ومن هذه العجائب النجوم وقد ذكر

ومن هذا الجمال الذي أبدعه الله جل
جلاله؛ ليتأمله خلقه ويستروحون في ظلاله
النجوم التي جعلها الله زينة للسماء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا
وَزَيْنًا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وأن تكون النجوم زينة للسماء فهذا لا
شك يشي «بأن الجمال غاية مقصودة في
خلق هذا الكون، فليست الضخامة وحدها،
وليست الدقة وحدها إنما هو الجمال الذي
ينتظم المظاهر جميعاً، وينشأ من تناسقها
جميعاً.

وإن نظرة مبصرة إلى السماء في الليلة
الحالكة وقد انتشرت فيها الكواكب والنجوم
توصوص بنورها، ثم يبدو كأنما تخبو، ريثما
تنتقل العين لتلبي دعوة من نجم بعيد، ونظرة
مثلها في الليلة القمرية والبدر حالم، والكون
من حوله مهوم كأنما يمسك أنفاسه لا يوقظ
الحالم السعيد!

إن نظرة واحدة شاعرة لكفيلة بإدراك
حقيقة الجمال الكوني، وعمق هذا الجمال
في تكوينه»^(١).

وهذا لا شك يوجه المؤمنين بأن من
واجبهم أن «يجعلوا حياتهم مبنية على
الجمال في الظاهر وفي الباطن؛ تأسياً بسنة

(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي ٢٧/٨-٢٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣/٨٧.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢١٣٣.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا
وَرَزَقْنَاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ
شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨].

وها هنا يخبرنا الرب جل جلاله أن
السماء محفوظة من كل شيطان رجيـم حتى
لا يصل إليها فظاهاها «مجمل بالنجوم
النيرات، وباطنها محروس ممنوع من
الآفات»^(٣).

ومع هذا فإن بعض الشياطين في بعض
الأوقات يسعى لاستراق السمع ومعرفة ما
يدور في الملأ الأعلى، فأتتد يتبعه ﴿شَهَابٌ
مُبِينٌ﴾ أي: «بين منير يقتله أو يخبله»^(٤).

قال الإمام البخاري عند تفسيره لهذه
الآية: حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة
عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي
صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله
الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها
خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان - قال
علي: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك - فإذا
فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟
قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير،
فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع
هكذا واحداً فوق آخر - ووصف سفيان بيده
وفرغ بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٠
بتصرف.

(٤) المصدر السابق.

الله للنجوم في كتابه عدداً من المنافع، ومن
هذه المنافع ما ذكره الله عز وجل من أنها
رجوم للشياطين ما أن يحاولوا التسمع
للملأ الأعلى حتى تنقض عليهم فتحرقهم،
وتقضي عليهم.

عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن
الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب -
فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق
الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى
الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند
أنفسهم)^(١).

فأن تكون النجوم رجوماً للشياطين
أي: «شهباً محرقة لمسترقى السمع من
الشياطين»^(٢) فهذا له فوائد عدة، منها:

بيان مدى شدة حفظ السماء، فالسماء
منها أتى الوحي، وتنزل الأوامر والمقادير
التي تضبط شأن العالم، فأن تكون محفوظة،
وعليها حراسة شديدة فهذا من المقاصد
العظيمة؛ ولقد ذكر القرآن أن من منافع
النجوم أن الله جعلها رجوماً للشياطين
الذين يحاولون الوصول إليها، ومعرفة ما
يجري فيها؛ ليصلوا به إلى الكهان؛ ليخدعوا
الناس به، ويفسدوا عليهم أمر حياتهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء
الخلق، باب ذكر الملائكة، ١١١/٤، رقم
٣٢١٠.

(٢) التفسير الميسر ص ٥٦٢.

تتصب شواهد عدة للتدليل على عظمة الخالق وشدة قدرته وقهره، واتساع سلطانه، ومن الأمور التي ذكرها القرآن في هذا السياق هو كون النجوم رجوماً للشياطين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

فهذه الآية أتت في بدايات سورة الملك التي تعنى بتفصيل مظاهر قدرة الرب الجليل، يقول صاحب الظلال: «ومفتاح السورة كلها ومحورها الذي تشد إليه تلك الحركة فيها هو مطلعها الجامع الموحى: ﴿بَنَزَكَ الْوَيْبُ إِلَيْهِ أَلَتْكَ وَالْوَعْدَىٰ كُلُّ شَيْءٍ وَفَيْدِرُ﴾ [الملك: ١].»

وعن حقيقة الملك وحقيقة القدرة تتفرع سائر الصور التي عرضتها السورة، وسائر الحركات المغيبة والظاهرة التي نبهت القلوب إليها، فمن الملك ومن القدرة كان خلق الموت والحياة، وكان الابتلاء بهما، وكان خلق السموات وتزيينها بالمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين»^(٣).

وهذه الآية كما -يقول الإمام الرازي- دليل: «على كونه تعالى قادرًا عالمًا؛ وذلك لأن هذه الكواكب -نظرًا إلى أنها محدثة ومختصة بمقدار خاص، وموضع معين،

فوق بعض- ربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقيها إلى الأرض- وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض- فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقًا؟ للكلمة التي سمعت من السماء»^(١).

ومما يدل على شدة حراسة السماء وقوة حفظها تعبير القرآن بـ﴿أَسْرَقَ﴾ «فهنالك من سرق؛ وهنالك من استرق؛ فالذي سرق هو من دخل بيتًا على سبيل المثال، وأخذ يعبى ما فيه في حقائق، ونزل من المنزل على راحته لينقلها حيث يريد».

لكن إن كان هناك أحد في المنزل فاللص يتحرك في استخفاء خوفًا من أن يضبطه من يوجد في المنزل؛ وهكذا يكون معنى ﴿أَسْرَقَ﴾: الحصول على السرقة مقرونة بالخوف^(٢). فأن تكون النجوم رجوماً للشياطين بهذه القوة التي تجعلهم فقط يسترقون السمع بكل وجل وخوف فهذا يدل على شدة حفظ السماء.

الاستدلال على عظمة الخالق:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، ٦/ ٨٠، رقم ٤٧٠١.

(٢) تفسير الشعراوي ١٢/ ٧٦٦٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٦٣٠-٣٦٣١.

وسير معين- تدل على أن صانعها قادر -ونظراً إلى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لأهل الدنيا، وسبباً لانتفاعهم بها- تدل على أن صانعها عالم»^(١).

وكذلك من دلائل قدرته عز وجل «أن جعل جزءاً منها رجوماً للشياطين بانفصال بعض الشهب عنها لرمي شياطين الجن الذين كانوا يحاولون التسمع إلى الملائكة الأعلى، وهي آيات دالة على عظيم قدرته جل جلاله بصون السماء وما فيها من أخبار»^(٢).

والرجوم: جمع رجم «وهو اسم لما يرمم به، أي: ما يرمي به الرامي من حجر ونحوه»^(٣).

والذي جعل رجوماً للشياطين هو النجوم ف«ضمير الغائبة في ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ المتبادر أنه عائد إلى المصاييح، أي: إن المصاييح رجوم للشياطين»^(٤).

«والمصاييح هي النجوم العظيمة المضئية»^(٥).

وليس كل النجوم رجوماً للشياطين وإنما

معنى جعلها رجوماً «جارٍ على طريقة إسناد عمل بعض الشيء إلى جميعه، مثل إسناد الأعمال إلى القبائل لأن العاملين من أفراد القبيلة»^(٦).

فكون النجوم بكتلها الضخمة وسرعاتها العالية رجوماً للشياطين فهذا لا شك من دلائل قدرة الله وشدة عظمته.

ومن الآيات التي أشارت لهذا قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

فهذه الآية تذكر عددًا من مظاهر قدرة الباري جل جلاله؛ ولذا ختمت بقوله: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ومن بين تلك الدلائل المذكورة قوله: ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ أي: «من الشياطين الذين يسترقون السمع»^(٧).

والقرآن عالج الكثير من خرافات الجاهلية، وصور الشرك التي كانت منتشرة بينهم، وكشف زيفها، وفضح باطلها، وكان من بين هذه الأباطيل ما ادعاه أهل الجاهلية من أن الجن يعلمون الغيب، ويتصلون بالملائكة الأعلى، وبينهم وبين الله نسب، فرد القرآن على ذلك بيان أن النجوم رجوم

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٠/٥٨٣.

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن، مجموعة مؤلفين ٢٧٢/٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: التفسير الميسر ص ٥٦٢.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢١.

(٧) التفسير الميسر ص ٤٧٨.

للشياطين، وأنها تمنعهم من استراق السمع. قال تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِزْنَةً﴾ [الصافات: ٧].

يعني: «المتنرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه»^(٤) ولذلك قال بعدها: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الصافات: ٨].

أي: «لثلا يصلوا إلى الملاء الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره»^(٥).

وتأمل كيف أنه قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ فهذا الفعل أصله «يتسمعون» وقد ضمن معنى الفعل يصغون أو يدنون؛ ولهذا عدى بحرف الجر ﴿إِلَى﴾ أي: لا يستطيعون أن يسمعوا إلى الملاء الأعلى، وهم في إصغاء شديد حالة التسمع^(٦).

وهذا يدل على شدة حراسة السماء بالنجوم، فإنهم مع حرصهم على السماع لا يستطيعون؛ ولذا قال الله في خاتمة الآية: ﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

ثم أوضحت الآيات أن بعض الشياطين قد يتلقف شيئاً على وجه الخفية والسرعة ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الصافات: ١٠].

«والخطف: ابتدار تناول شيء بسرعة،

للشياطين، وأنها تمنعهم من استراق السمع. قال تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِزْنَةً﴾ [الصافات: ٧].

ف هذه الآيات أتت في سورة الصافات التي «تستهدف -كسائر السور المكية- بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صورته وأشكاله؛ ولكنها -بصفة خاصة- تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئـة العربية الأولى»^(١).

ف هذه الآيات أتت «بعد ما عالج مطلع السورة شطر الأسطورة الخاص بالملائكة؛ ليعالج شطرها الثاني وهو الخاص بالشياطين، حيث أنهم كانوا يزعمون أن بين الله وبين الجنة نسباً، وبعضهم كانوا يعبدون الشياطين على هذا الأساس، وعلى أساس أن الشياطين يعرفون الغيب لاتصالهم بالملاء الأعلى»^(٢).

فبينت الآيات كيف أن السماء الدنيا مزينة ﴿بَرِزْنَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

أي: «بزينة هي النجوم»^(٣) وكيف أن هذه

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٩٦٦/١٢.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٩٨٠.

(٢) المصدر السابق ٥/٢٩٨٣ بتصرف.

(٣) التفسير الميسر ص ٤٤٦.

والخطفة المرة منه»^(١).

فيكون جزاؤه الإحراق ﴿فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ نَّاقِبٌ﴾ أي: «تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء»^(٢).

وهكذا ترد الآيات على المشركين معتقدهم الفاسد «في أن الشياطين يعلمون الغيب، وأنهم يتلقون ذلك باتصالهم بالملا الأعلى، واستماعهم إلى ما يدور بين الملائكة هناك، مما يتصل بالعالم الأرضي»^(٣).

وكذلك ترد عليهم خرافة اتخاذهم آلهة، وأن بينهم وبين الله نسبا فلو «كان شيء من هذا صحيحا لتغير وجه المعاملة؛ ولما كان مصير الأنبياء والأصهار - بزعمهم - هو المطاردة والرجم والحرق أبدا»^(٤).

وهكذا يظهر كيف أن رجم النجوم للشياطين يكشف عن تهافت مزاعم المشركين وأباطيلهم.

قال تعالى حاكيا قول الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا

وَشَهَابًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩].

وفي هاتين الآيتين يخبر الجن أنهم حاولوا طلب أخبار السماء ولمسها وحقيقة المس: «الجس باليد، واستعير هنا؛ لطلب أخبار السماء؛ لأن الماس للشيء في العادة إنما يفعل ذلك طلبا لاختباره ومعرفة»^(٥).

ولكنهم وجدوها ﴿مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا﴾ [الجن: ٨].

أي: «ملتت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يرمى بها من يقترب منها»^(٦).

ثم كشفوا عن شدة استغرابهم لذلك قائلين: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩].

أي: «مرصداً له، معداً لإتلافه وإحراقه»^(٧).

وهذا لا شك يدل على «لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز؛ ذلك أن الله لما شاء بعث نبيه وإرساله وإنزال القرآن عليه ملتت السماء حرسا شديداً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر

(٥) التفسير الوسيط، طنطاوي ١٣٥/١٥.

(٦) التفسير الميسر ص ٥٧٢.

(٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٩١.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩٣/٢٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٠١.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب

٩٦٦/١٢.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٩٨٤.

أسماء وصفات في عالم النجوم

أولاً: نجوم ذكرت بأسمائها:

ذكر الله تعالى النجوم في كتابه في مواضع متعددة، لكن النجم الوحيد الذي ذكر باسمه هو الشعري.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩].

فهذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه النجم بالاسم دون الوصف.

والشعري: «كوكب وهاج مضيء يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر»^(٣) وقد يبدو من خلال النظر في الآية وسياقها أنه ذكر باسمه لتقرير التوحيد ونفي العقائد الشركية، فنجم الشعري كان له مكانته الخاصة عند العرب، فهم كانوا في جاهليتهم يعبدونه من دون الله^(٤). وكانوا ينسبون إليه الغنى والفقرة، كما أشار إلى هذا الرازي^(٥).

واختلف فيمن كان يعبده، فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة، وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته؛ ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله،

(٣) انظر: تفسير القشيري ٤٩١/٣، تفسير المراغي ٦٧/٢٧ بتصرف.

(٤) جامع البيان، الطبري ٥٥٠/٢٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨٣/٢٩.

ويختلط، ولا يدري من الصادق^(١).

يقول الإمام الرازي: «هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث إلا أنها زادت بعد المبعث، وجعلت أكمل وأقوى؛ لأنه قال: ﴿فَوَجَدْتَنَهَا مُلْتَتًا﴾ [الجن: ٨].

وهذا يدل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله: ﴿تَعَمَّدُ مِنْهَا مَقْعِدًا﴾ [الجن: ٩].

أي: كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب، والآن ملئت المقاعد كلها، فكثرة الرجم، ومنع الاستراق بالكلية هي التي حملت الجن على الضرب في البلاد، وطلب السبب^(٢). فأن يزداد الرجم للشياطين، وأن تمنع من استراق السمع فهذا لا شك فيه بيان لمدى مكانة القرآن وشرفه ورفعته على سائر الكتب.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٤٠/٨.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٦٧٠/٣٠ بتصرف.

العقول وتستعظمها، فهذا لا شك له وزنه في بيان عظم قدرة الله في فعل ما يشاء.

ثانيًا: نجوم ذكرت بصفاتهما:

وصف الله في كتابه النجوم بعدة أوصاف؛ لهذه الأوصاف دلالات متنوعة، وفيها إشارات، إما لبعض وظائف هذه النجوم أو لتوضيح ماهيتها وشكلها، فتارة يصفها بالثقوب، وتارة يصفها بالخنس والجريان والكنس، وتارة يصفها بالطروق. وفيما يلي تفصيل هذا:

١. وصفها بالثقوب.

ورد هذا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَافَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، يَهَابٌ ثَائِبٌ﴾ [الصفات: ١٠].

وهذا ورد في معرض الحديث عن حفظ الله للسماء من تسلط الشيطان، بأن جعل فيها الكواكب التي من وظائفها أنها تتبع من استرق السمع من الشياطين فتحرقه وتهلكه. وجاء هذا الوصف أيضًا في سورة الطارق حين أقسم الله بالطارق - بعد القسم بالسماء -، ثم وصف هذا الطارق وعرفه بأنه: النجم الثاقب.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النُّجُومُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١-٣].

والثاقب يعني: النافذ بضوئه وشعاعه المنير^(٦).

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/٤٦٧.

وخالف أديانهم^(١).

ولذا ذكره القرآن باسمه لـ «تقرير عقيدة التوحيد، ونفي عقيدة الشرك الواهية المتهافنة»^(٢) وذلك من خلال إعلامهم بأنه ربهم ورب هذا النجم الذي يعبدونه من دون الله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩].

وتأمل كيف أنه أتى بضمير الفصل الذي «يفيد قصر ربوبية الشعري على الله تعالى؛ وذلك كناية عن كونه رب ما يعتقدون أنه من تصرفات الشعري، أي هو رب تلك الآثار ومقدرها وليست الشعري ربة تلك الآثار المسندة إليها في مزاعمهم»^(٣).

وذكر ربوبية الله لنجم الشعري لا شك يشير لعظم قدرة الله، فنجم الشعري «أثقل من الشمس بعشرين مرة، ونوره خمسون ضعف نور الشمس، وهي أبعد من الشمس بمليون ضعف بعد الشمس عنا»^(٤) فإن يكون مربوبًا لله جل جلاله فهذا لا شك يدل على شدة قدرة الخالق عز وجل، وأن تذكر ربوبية الله لنجم الشعري العملاق في سورة النجم التي «تحدث عن الرحلة إلى الملاء الأعلى»^(٥).

تلك الرحلة التي قد تستبعضها بعض

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/١١٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٤١٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/١٥٢.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٤١٨.

(٥) المصدر السابق.

في أحوالها العجيبة، فسيرها وظهورها ثم اختفاؤها وغيابها لهو دليل على وجود مدبر قادر، يرضى أحوالها، ويقوم على أمرها.

والتعبير عن النجوم بهذه الأوصاف «يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الطباء، وهي تجري وتختبئ في كناسها، وترجع من ناحية أخرى، فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيق الأنيق عن هذه الكواكب، وهناك إيحاء شعوري بالجمال في حركتها، في اختفائها وفي ظهورها، في تواربها وفي سفورها، في جريها وفي عودتها، يقابله إيحاء بالجمال في شكل اللفظ وجرسه»^(٦).

وما هذا العجب في أحوالها إلا مرتع خصب للتأمل والتفكر والاهتداء بها إلى خالقها وموجدها وراعي أمرها، وصدق ربنا حين أخبر عن أن زينة الكواكب آية للمعتبرين والمتفكرين: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

٣. وصفها بالطروق.

وقد جاء هذا الوصف في سورة الطارق؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١].

والطارق فسره الله تعالى بأنه: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣].

والوصف بالثقوب سبق بيانه.

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٨٤١.

و«إنما وصف النجم بكونه ثاقبًا لوجوه: أحدها: أنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه.

وثانيها: أنه يطلع من المشرق نافذًا في الهواء كالشيء الذي يثقب الشيء.

وثالثها: أنه الذي يرى به الشيطان فيثقبه، أي: ينفذ فيه ويحرقه.

ورابعها: النجم الثاقب هو النجم المرتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعًا: قد ثقب»^(١).

٢. وصفها بالخنس والجريان والكنس.

وقد وردت هذه الأوصاف مجتمعة في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَسِ وَالْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦].

وتخنس أي: «ترجع، بينا يرى أحدها في آخر البروج كرراجعًا إلى أوله»^(٢).

والجوار: «جمع جارية: وهي التي تجري، أي: تسير سيرًا حثيثًا»^(٣).

وتكنس: «أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها»^(٤). وقيل: «أي: تكنس بالنهار فلا ترى»^(٥).

وفي وصف النجوم بهذه الأوصاف إشارة إلى الأسرار العظيمة التي جعلها الله

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٣١/١١٧ بتصرف.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي ٤/٤٠٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/١٥٢.

(٤) معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٥/٢٩١.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ٨/٣٤٩.

ثالثاً: القسم بالنجوم:

المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى أقسم بأشياء عديدة في كتابه، والله يقسم بما يقسم به من مخلوقاته؛ «لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره»^(٤). والنجوم من الأشياء التي أقسم بها القرآن كثيراً في غير ما موضع؛ وذلك يدل على شدة دلالتها على عظمة خالقها، وقد تنوع الإقسام بالنجوم فتارة يكون بذواتها، وأخرى بأوصافها، وفيما يلي عرض لهذا:

١. القسم بذات النجوم

أقسم الله جل جلاله بذات النجوم، فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١].
فها هنا يقسم القرآن بالنجم، فالألف واللام للجنس أي: لا يقصد بهذه الكلمة نجماً معيناً إنما جنس النجوم، تقول مثلاً: التفاح ذو قيمة غذائية عالية، أي: جنس التفاح. والقسم بالنجم هنا له فائدة جليلة وهي إظهار مدى شدة قدرة الله.

يقول الطاهر ابن عاشور: «والقسم بالنجم لما في خلقه من الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى، ألا ترى إلى قول الله حكاية عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا

وأما وصفه بالطارق «فأنه يبدو بالليل وكل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره فهو طارق، فلا يكون الطارق نهاراً»^(١). والمراد ها هنا: «الكوكب البادي بالليل، إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود، وقيل: الطارق النجم الذي يقال له: كوكب الصبح»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾

[الطارق: ٢].

تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به، فلا استفهام مستعمل في تعظيم أمره^(٣).

ووصف النجوم بالطروق يلفت الأنظار لعظيم أمرها حقاً؛ إذ النجوم بكتلتها الثقيلة وسرعاتها العالية تتحرك في ظلام داس حالك دون أن تتصادم أو ترتطم ببعضها البعض، وهذا لا شك يدل على عظمة خالقها، وعظيم تقديره وحفظه، وبهذا يظهر التناسب بين القسم بالطارق والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

فالذي يهيمن على تلك النجوم العظيمة التي تسبح في الليل بسرعاتها العالية، ويضبط حركتها كذلك لا يخفى عليه العلم والإحاطة بما تضمهره النفوس وتخفيه.

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري ٧٣٤/٤، مفاتيح

الغيب، الرازي ١١٧/٣١.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٤٠/٩.

(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي ٣٥٢/١٥.

(٤) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١٩٧/١.

قَالَ هَذَا رَبِّي ﴿[الأنعام: ٧٦]﴾^(١).

٢. القسم بوصف أحوال النجوم.
إذا كان الله تعالى أقسم بذات النجوم صراحة فإنه أقسم كذلك ببعض أحوال النجوم وأوصافها، ومن هذه الأوصاف ما يلي:
١. هوي النجوم.

وهذه من أوصاف النجوم التي أقسم الله تعالى بها.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].
فها هنا يقسم الباري جل جلاله بالنجم عند هويته، أي: «سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار»^(٢) ولهذا القسم دلالات عدة، منها:

الأول: التأكيد على تسخير الله: يقول الطاهر ابن عاشور عن سر تقييد القسم بحالة هوي النجم: «تقييد القسم بالنجم بوقت غروبه لإشعار غروب ذلك المخلوق العظيم بعد أوجه في شرف الارتفاع في الأفق على أنه تسخير لقدرة الله تعالى»^(٣).
فالنجم بعدما كان في قمة الارتفاع وذروته يأفل ويغيب، وفي هذا ما يدل على أن خلف هذه الموجودات إله قوي قادر لا يغيب مسخر وقاهر لها تظهر متى شاء؛ وكذلك

تأفل متى أراد.

وهكذا يظهر لنا أن القسم بالنجوم حال هويتها من مقاصده الدلالة على عظمة قدرة الله تعالى في خلقه، وعلى عظمة قدرته في تسخير خلقه.

الثاني: التأكيد على صحة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم:

ويظهر ذلك من معرفة المقسم عليه، وهو قوله تعالى: ﴿مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَىٰ﴾ [النجم: ٢].

فكان الله أقسم بالنجم حال هويته؛ للتأكيد على «صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي»^(٤) وذلك لأن الله تعالى «لما جعل النجوم زينة للسماء كذلك جعل الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم»^(٥).

ولا غرو فإن «ظهور النبي صلى الله عليه وسلم في مكة - كان في ظلمة ليل بهيم، أطبق على العالم بأسره، فكان ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بالنجم الذي يرى منه المدلجون في الليل هاديًا، إذا هم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، ومدوا أبصارهم إليه»^(٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨١٨ بتصرف.

(٥) المصدر السابق.

(٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩٠/٢٧ بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨١٨.

(٣) المصدر السابق.

فالنجوم «تزيد على عدة بلايين نجم، منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر، إلا كما يحدث تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي، يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد، وبعيد جدًا، إن لم يكن مستحيلًا»^(٤). فأن تكون النجوم بهذا الضبط وذاك النظام فهذا لا شك من أعظم دلائل قدرة البارئ جل جلاله.

الثاني: من دلائل البعث والنشور.

ذكرت السورة في بدايتها انهدام الكون وخرابه، وعودة جميع الخلق إلى الرب تعالى للحساب والثواب والعقاب، وهذا يشير للبعث والنشور، فجاء القسم بخمس النجوم وكنسها؛ ليدل «على قدرة الله تعالى على بعث الموتى من القبور، وعلى إعادة هذه العظام البالية، وإلباسها لباس الحياة من جديد»^(٥)؛ إذ تنقل النجوم الهائلة ذات الأحجام الكبيرة من حال إلى حال، ومن

وهكذا يظهر لنا أن من دلالات القسم بالنجم حال هويته التأكيد على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤكد هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿فَلَا أَمْسِدُ مَوْجِعَ النُّجُومِ ۗ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ۗ إِنَّهُ لَفَرَزٌ لِّكْرِيمٍ ۗ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].

فها هنا يقسم تعالى بمواقع النجوم، أي: «مساقتها في مغاريها»^(١).

والمقسم عليه «هو إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم»^(٢).

٢. الخنوس والكنس.

قال تعالى: ﴿فَلَا أَمْسِدُ بِالْمَغْنَمِ ۗ وَالْمَجَارِ الْكُنْسِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦].

وفي القسم بخمس النجوم وكنسها دلالات عدة منها:

الأول: التأكيد على قدرة الله تعالى وربوبيته.

أقسم الله جل جلاله بخمس النجوم وكنسها «لينوه بشأنها من جهة ما في حركاتها من الدلائل على قدرة مصرفها ومقدرها، وإرشاد تلك الحركات إلى ما في كونها من بديع الصنع، وإحكام النظام»^(٣).

(٤) الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل ص ٣٣.

(٥) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٧٣٤/١٤.

«وطمست أي: ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب، يقال: طمس الشيء إذا درس»^(١). فيكون أول أحوال النجوم المؤذنة بقيام الساعة أن يطمس نورها وينمحي.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ **أَنكَدَرَتْ**﴾ [التكوير: ٢].

وفي معنى الانكدار قولان للعلماء: أحدهما: السقوط والتناثر. وثانيهما: التغير.

يقول الطبري رحمه الله: «قوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ **أَنكَدَرَتْ**﴾ [التكوير: ٢].

يقول: وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت، وأصل الانكدار: الانصباب، وقال آخرون: انكدرت: تغيرت»^(٢).

وهذان القولان ليس بينهما تضاد، بل الثاني من لوازم الأول، والمعنى أنها إذا تساقطت كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا **الْكَوَاكِبُ **أَنثَرَتْ****﴾ [الانفطار: ٢].

فإنها تتغير ويذهب ضوءها»^(٣).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا **الْكَوَاكِبُ **أَنثَرَتْ****﴾ [الانفطار: ٢].

والانثار أيضاً من الأحوال التي تحدث للنجوم يوم القيامة، ومعناه: سقوطها من

وجود وظهور إلى عدم وخفاء من أعظم براهين القدرة، فالذي يفعل هذا بالنجوم فيخفيها بعد ظهور ويظهرها بعد خفاء لا يعجزه فعل هذا بالإنسان الضعيف.

رابعاً: النجوم وقيام الساعة:

أخبر الله تعالى عن النجوم - كما سبق معنا - أنها زينة، وجعل زيتتها آية من آيات قدرته، ودلائل عظمته، ثم أخبرنا تعالى أيضاً - أن هذه النجوم يأتي عليها وقت فينمحي ضوءها، ويذهب نورها، وينقلب حالها، فتبتد وتفرق وتضطرب، فتصير مدعاة للخوف والرعب بعدما كانت في الدنيا مدعاة للفرح والسرور والابتهاج.

وهذا الانقلاب في أحوال النجوم جعله الله علامة من علامات يوم القيامة التي تكشف عن مشاهد الرعب والفرح في هذا اليوم العظيم، والتي تبين اختلال النظام الكوني كله آنئذ.

وقد جاء هذا المعنى في ثلاث آيات من كتاب الله:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا **النُّجُومُ **طُمِسَتْ****﴾ [المرسلات: ٨].

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا **تُوعَدُونَ **لَوْعِقٌ****﴾ [المرسلات: ٧].

لينبه أن طمس النجوم من علامات هذا اليوم الذي يلاقون فيه ما يوعدون.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/١٥٧.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٤/٢٣٩.

(٣) تفسير جزء عم، مساعد الطيار ص ٦٤.

موضوعات ذات صلة:

الآيات الكونية، الأرض، الجبال،
السماء، الشمس، القمر

مواضعها متفرقة^(١). وأصل النثر: «رميك الشيء متفرقاً»^(٢). يقال: «انتثر: تفرق»^(٣).

وليس بينهما تعارض فالتناثر توضيح لهيئة أو صفة تساقطها أو من لوازمه؛ إذ يلزم من تساقطها تناثرها وتفرقها.

ويعد هذا العرض لمعاني الطمس والانكدار والانتثار نقول:

قد تكون هذه مراحل مختلفة متلاحقة تمر بها النجوم يوم القيامة، تبدأ بطمس نورها، ثم تناثرها متفرقة، وسقوطها على الأرض، يقول الزمخشري: «ويجوز أن يمحق نورها، ثم تنتثر ممحوقة النور»^(٤).

ويكون الانكدار بياناً للحال العامة للنجوم يومئذ، وهي تغير أحوالها من طمس نورها، وذهاب ضوئها، وتساقطها من جو السماء متناثرة.

وهكذا يظهر لنا كيف أن القرآن ذكر من أحوال النجوم ما هو علامات ودلائل على قيام الساعة، ونسأل الله النجاة من أهوال هذا اليوم.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧٤/٢٤، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٩٥/٥، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٤٦/٥، معالم التنزيل، البغوي ٢١٩/٥.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ١٣٧/١٠.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٠٠/٢.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٦٧٨/٤.